

العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي

ادم فالح صالح

الأستاذ المشرف د. مجيد محمدي

جامعة الرازي - كرمانشاه كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي بوصفها عناصر مرافقة للنص الشعري تسهم في توجيه القراءة وبناء الدلالة، ولا تقل أهمية عن المتن الشعري نفسه. وتشمل هذه العتبات العنوان، والإهداء، والمقدمة، وغيرها من العناصر التي تحيط بالنص وتعمل بوصفها مفاتيح أولية لفهمه. وقد حظيت هذه العتبات باهتمام واضح في شعر عبد الوهاب البياتي، إذ جاءت محملة بإشارات فكرية ورمزية تعبر عن رؤيته الشعرية والإنسانية، وتعكس تجربته الوجودية والسياسية في سياقها الثقافي والتاريخي. وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلط الضوء على أحد المناهج النقدية الحديثة التي أسهمت في توسيع أفق قراءة النص الأدبي، حيث لم يعد النص يُقرأ بمعزل عن محيطه، بل ضمن شبكة من العلامات والدلالات التي تمهد له وتوجه المتلقي نحو تأويل معين. كما تبرز أهمية البحث في كونه يركز على شاعر بارز من رواد الشعر العربي الحديث، ويكشف عن وعيه بأهمية العتبات النصية ودورها في تعميق المعنى وربط النص الشعري بالقارئ، فضلاً عن ارتباطها بالقضايا الفكرية والاجتماعية التي شغلت الشاعر. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع مظاهر العتبات النصية في عدد من دواوين عبد الوهاب البياتي، وتحليل وظائفها الدلالية والجمالية، وربطها بالسياق العام للنصوص الشعرية وبالتجربة الشعرية للشاعر. كما تم الاستناد إلى بعض المفاهيم النقدية الحديثة، ولا سيما ما طرحه جيرار جينيت حول النص الموازي. وتوصل البحث إلى أن العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي تؤدي دوراً أساسياً في توجيه القراءة وبناء أفق التلقي، ولا تُعد عناصر شكلية أو تزيينية، بل تحمل دلالات عميقة تسهم في فهم النص وتأويله. كما كشفت النتائج عن أن هذه العتبات تعكس عمق التجربة الشعرية للبياتي، وارتباطها بقضايا المنفى والاعتراب والحرية والإنسان، مما يؤكد وعي الشاعر بأهمية النص الموازي في تشكيل العمل الشعري.

الكلمات المفتاحية: العتبات النصية، عبد الوهاب البياتي، النص الموازي، الشعر العربي الحديث، النقد الأدبي.

Summary

This study examines the textual thresholds in the poetry of Abdul Wahab Al-Bayati as accompanying elements to the poetic text that contribute to guiding interpretation and constructing meaning, and which are no less important than the poetic body itself. These thresholds include titles, dedications, prefaces, and other elements that surround the text and function as preliminary keys to its understanding. In the poetry of Abdul Wahab Al-Bayati, these thresholds receive clear attention, as they are loaded with intellectual and symbolic references that express his poetic and human vision and reflect his existential and political experience within its cultural and historical context. The importance of this topic lies in shedding light on one of the modern critical approaches that has expanded the horizons of literary text analysis. The text is no longer read in isolation from its surrounding context, but rather within a network of signs and meanings that prepare the reader and guide them toward specific interpretations. The study also highlights a prominent poet among the pioneers of modern Arabic poetry, revealing his awareness of the significance of textual thresholds and their role in deepening meaning and strengthening the relationship between the poetic text and the reader, as well as their connection to the intellectual and social issues that concerned the poet. The research adopts a descriptive-analytical approach by tracing the manifestations of textual thresholds in a number of Abdul Wahab Al-Bayati's poetry collections and analyzing their semantic and aesthetic functions, while linking them to the overall context of the poetic texts and the poet's literary experience. The study also draws on modern critical concepts, particularly those proposed by Gérard Genette regarding paratexts. The study concludes that textual thresholds in the poetry of Abdul Wahab Al-Bayati

play a fundamental role in guiding reading and shaping the horizon of reception. They are not merely formal or decorative elements, but carry deep meanings that contribute significantly to understanding and interpreting the text. The findings also reveal that these thresholds reflect the depth of Al-Bayati's poetic experience and its close connection to themes of exile, alienation, freedom, and humanity, confirming the poet's awareness of the importance of paratexts in shaping the poetic work.

Keywords: Textual Thresholds, Abdul Wahab Al-Bayati, Paratext, Modern Arabic Poetry, Literary Criticism

المقدمة

يُعدّ النص الأدبي بنية دلالية مركّبة لا يقتصر فهمها على المتن اللغوي وحده، بل يتجاوز ذلك ليشمل مجموعة من العناصر المصاحبة التي تسبق النص أو تحيط به، والتي اصطلح النقد الحديث على تسميتها بالعتبات النصية. وقد أسهم هذا المفهوم في توسيع آفاق القراءة النقدية، إذ لم يعد النص يُقرأ قراءة معزولة، بل ضمن سياق الكلي الذي تشكّل فيه. ويشير بعض النقاد إلى أن «الخطاب الأدبي لا يبدأ من أول سطر في المتن، وإنما من العلامات الأولى التي تواجه القارئ وتوجّه وعيه القرائي» (فضل، ١٩٩٨، ص ٤٦)، وهو ما يمنح العتبات النصية دوراً أساسياً في تهيئة القارئ وإرشاده نحو الدلالات الممكنة للنص، بما يجعلها جزءاً لا يتجزأ من بنيته الفنية. وقد ارتبط مفهوم العتبات النصية ارتباطاً وثيقاً بالدراسات البنوية والسميائية، خاصة مع ما طرحه جيرار جينيت حول مفهوم النص الموازي، الذي انتقل إلى النقد العربي عبر الترجمة والتأصيل. ويؤكد جينيت أن «النص الموازي هو كل ما يحيط بالنص من عناوين ومقدمات وهوامش، ويشكّل منطقة عبور لا غنى عنها لفهم العمل الأدبي» (جينيت، ٢٠٠١، ص ١٨). وقد وجد هذا التصور صدى واسعاً لدى النقاد العرب، الذين رأوا في العتبات النصية خطاباً مكتملاً للمتن، يسهم في توجيه القراءة وتأطير التأويل، ويمنح النص عمقاً دلاليّاً إضافياً. وفي سياق الشعر العربي الحديث، يبرز عبد الوهاب البياتي بوصفه شاعراً واعياً بأهمية العتبات النصية ودورها في بناء المعنى. فقد جاءت عناوين دواوينه وقصائده مشحونة بالرمز والإيحاء، ومعبرة عن قضايا الاغتراب والمنفى والبحث عن الحرية. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «العنوان في الشعر الحديث لم يعد تسمية محايدة، بل أصبح جزءاً من البنية الدلالية للنص ومفتاحاً لتأويله» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١١٤)، وهو ما ينطبق بوضوح على تجربة البياتي، حيث تتداخل العتبات مع المتن لتشكّل رؤية شعرية متكاملة. وانطلاقاً من هذه المعطيات، يسعى هذا البحث إلى دراسة العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي، والكشف عن وظائفها الدلالية والجمالية، ودورها في توجيه التلقي وبناء المعنى. كما يهدف إلى ربط هذه العتبات بالسياق الثقافي والفكري الذي أفرز التجربة الشعرية للبياتي، انطلاقاً من قناعة مفادها أن «قراءة النص الشعري تظل ناقصة ما لم تُقرأ عتباته بوصفها جزءاً من خطابه الكلي» (البياتي، ١٩٩٥، ص ١١)، الأمر الذي يسهم في تقديم قراءة نقدية أعمق وأكثر شمولاً لهذه التجربة الشعرية.

البحث الأول: العتبات النصية

تُعدّ العتبات النصية من المفاهيم النقدية التي أسهمت في إعادة النظر في طبيعة النص الأدبي وحدوده، إذ لم يعد النص يُنظر إليه بوصفه بنية لغوية مغلقة، بل باعتباره كياناً مفتوحاً تحيط به مجموعة من العناصر المصاحبة التي تؤدي دوراً أساسياً في توجيه القراءة وبناء الدلالة. وقد مثل هذا التحول إحدى ثمرات النقد الحديث، الذي انتقل من التركيز على المتن وحده إلى الاهتمام بكل ما يسبق النص أو يواكبه من علامات لغوية ودلالية. من الناحية اللغوية، تحيل كلمة «العتبة» إلى معنى العبور والانتقال، فهي الموضوع الذي يقف عليه الداخل قبل ولوج المكان. وقد ورد في لسان العرب أن «العتبة هي أسكفة الباب، وهي الحدّ الفاصل بين الداخل والخارج، ومنها يكون العبور إلى المكان» (ابن منظور، ١٩٩٧، ج ١، ص ٥٦٣-٥٦٤). ويكشف هذا المعنى عن دلالة رمزية عميقة، إذ إن العتبة تمثل حالة وسطى بين فضاءين، وهو ما ينسحب على وظيفتها النقدية بوصفها منطقة انتقال بين القارئ والنص. وانطلاقاً من هذا المعنى، انتقل المصطلح إلى الحقل النقدي ليشير إلى العناصر التي تحيط بالنص الأدبي، مثل العنوان، والإهداء، والمقدمة، والهوامش، والغلاف، وغيرها. ويرى صلاح فضل أن «النص الأدبي لا يبدأ من المتن، بل من الإشارات الأولى التي تواجه القارئ وتكوّن وعيه القرائي، وتحدّد أفق انتظاره للنص» (فضل، ١٩٩٨، ص ٤٦-٤٧). وبذلك تصبح العتبات النصية جزءاً من البنية الدلالية الكلية، وليست مجرد إضافات شكلية. وقد تبلور مفهوم العتبات النصية بشكل أكثر وضوحاً في النقد الغربي الحديث، خاصة مع الدراسات البنوية والسميائية التي أعادت النظر في علاقة النص بسياقه وطرائق تلقيه. ويُعدّ الناقد الفرنسي جيرار جينيت أبرز من نظّر لهذا المفهوم من خلال كتابه عتبات: النص الموازي، حيث عرّف النص الموازي بأنه «كل ما يحيط بالنص من عناصر لغوية وبصرية تسهم في تقديمه وتوجيه قراءته، وتشكّل منطقة عبور ضرورية بين النص والقارئ» (جينيت، ٢٠٠١، ص ١٥-١٦). ويؤكد جينيت أن هذه العتبات تمتلك سلطة توجيهية لا تقل أهمية عن سلطة المتن نفسه. ويقسم جينيت العتبات النصية إلى نوعين رئيسيين: العتبات الداخلية، وهي تلك التي توجد داخل الكتاب مثل العنوان الفرعي، والإهداء، والمقدمة، والهوامش؛ والعتبات الخارجية، وهي التي تقع خارج النص المباشر مثل الغلاف، واسم المؤلف، والناشر.

ويرى أن كل نوع من هذه العتبات يؤدي وظيفة محددة تسهم في بناء المعنى وتحديد أفق التلقي، إذ «لا يواجه القارئ النص عارياً، بل محاطاً بسلسلة من العلامات التي تهيئته لقراءته» (جينيت، ٢٠٠١، ص ١٨-١٩). وقد انتقل مفهوم العتبات النصية إلى النقد العربي الحديث عبر الترجمة والتأصيل، حيث وجد صدى واسعاً لدى النقاد العرب الذين سعوا إلى توظيفه في تحليل النصوص الأدبية، ولا سيما الشعرية منها. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «الاهتمام بالعتبات النصية يمثل جزءاً من التحول النقدي الذي تجاوز القراءة الانطباعية إلى قراءة بنيوية دلالية، تنظر إلى النص في شموليته» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١١٠-١١٢). وقد أسهم هذا التوجه في الكشف عن أبعاد جديدة للنصوص الشعرية العربية الحديثة. وتكتسب العتبات النصية أهمية خاصة في الشعر، نظراً لطبيعته الرمزية وكثافة دلالاته. فالعنوان، على سبيل المثال، لم يعد مجرد تسمية محايدة، بل أصبح علامة دلالية تختزل أبعاد النص وتوجه تأويله. ويؤكد صلاح فضل أن «العنوان في الشعر الحديث يؤدي وظيفة إيحائية، ويعمل بوصفه نصاً مصغراً يختزن دلالات النص الكبرى» (فضل، ١٩٩٨، ص ٥٢-٥٣). كما تؤدي الإهداءات والمقدمات دوراً في الكشف عن خلفيات النص وسياقاته الفكرية والنفسية. ومن ثم، فإن العتبات النصية تسهم في بناء العلاقة بين النص والقارئ، إذ تعمل على تشكيل أفق التلقي وتوجيه عملية التأويل. فهي لا تقرض معنى واحداً، لكنها تحدد مسارات القراءة الممكنة، وتفتح أمام القارئ آفاقاً دلالية متعددة. وقد أشار جابر عصفور إلى أن «فهم النص الأدبي لا يكتمل دون قراءة ما يحيط به من علامات تمهد له وتضيء مساراته الدلالية» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٦٧-٦٨)، وبناءً على ما تقدم، يتضح أن العتبات النصية تمثل عنصراً بنيوياً أساساً في تحليل النص الأدبي، وأن دراستها تتيح فهماً أعمق لبنية النص ودلالاته. فهي تشكل منطقة وسيطة تجمع بين النص وسياقه، وبين المؤلف والقارئ، وتسهم في الكشف عن المقاصد الجمالية والفكرية الكامنة في العمل الأدبي. ومن هنا، فإن اعتماد هذا الإطار النظري يُعدّ مدخلاً ضرورياً لدراسة العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي، والكشف عن وظائفها ودلالاتها في تجربته الشعرية. تُسهم العتبات النصية، في إطارها النظري، في الكشف عن البنية العميقة للنص الأدبي، إذ تعمل بوصفها نظاماً من العلامات التي تتكامل مع المتن لتوليد المعنى. ولا يقتصر دور هذه العتبات على الوظيفة التمهيدية، بل يتجاوزها إلى الإسهام في بناء الدلالة وتأطيرها ضمن سياق ثقافي ومعرفي محدّد. وقد أكد عدد من النقاد العرب أن تحليل العتبات النصية يندرج ضمن تحليل الخطاب الأدبي بوصفه خطاباً مركباً، تتفاعل فيه مستويات لغوية ودلالية وسيميائية متعددة. وفي هذا السياق، يشير محمد مفتاح إلى أن «النص الأدبي شبكة من العلاقات، لا يكتمل فهمها إلا بقراءة العلامات المصاحبة التي تسهم في توجيه التأويل وتوسيع أفق الدلالة» (مفتاح، ١٩٩٢، ص ٣٩-٤٠). ويؤكد هذا الطرح أن العتبات النصية تُعدّ جزءاً من البنية الخطابية للنص، وليست عناصر خارجية عنه، بل تشارك في إنتاج معناه وتحديد مسارات قراءته الممكنة. كما يرتبط مفهوم العتبات النصية بمسألة تلقي النص، إذ تتدخل هذه العتبات في تشكيل وعي القارئ وتحديد علاقته بالنص منذ اللحظة الأولى. ويرى سعيد يقطين أن «النص لا يُنتج دلالاته بمعزل عن شروط تلقيه، وأن العتبات تسهم في ضبط هذه الشروط وتوجيهها» (يقطين، ١٩٩٧، ص ٢٨-٢٩). ومن هذا المنطلق، تصبح العتبات النصية عنصراً فاعلاً في العملية التواصلية بين النص والقارئ، وتؤدي دور الوسيط الذي ينقل الخطاب من المؤلف إلى المتلقي. وتبرز أهمية العتبات النصية كذلك في قدرتها على الكشف عن البعد الجمالي والفلسفي للنص الأدبي، خاصة في النصوص الشعرية التي تقوم على الإيحاء والرمز. ويشير كمال أبو ديب إلى أن «العلامات المحيطة بالنص تشكل جزءاً من جدلية الخفاء والتجلي، إذ تلمح ولا تصرّح، وتفتح المجال أمام القارئ لاكتشاف المعنى» (أبو ديب، ١٩٨١، ص ٦٧-٦٨). ويؤكد هذا الرأي أن العتبات النصية تسهم في تعميق التجربة الجمالية، من خلال إشراك القارئ في عملية إنتاج المعنى. ومن خلال هذه المقاربات النقدية، يتضح أن العتبات النصية تمثل مكوناً أساسياً في تحليل النص الأدبي الحديث، وأن دراستها تتيح فهماً أشمل لبنيته ووظائفه الدلالية والجمالية. فهي تشكل نقطة التقاء بين النص وسياقه، وبين المؤلف والقارئ، وتسهم في بناء خطاب أدبي متكامل. وبذلك، يُعدّ هذا الإطار النظري أساساً منهجياً ضرورياً للانتقال إلى دراسة العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي، وتحليل تجلياتها ووظائفها في نصوصه الشعرية.

العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي

يُعدّ عبد الوهاب البياتي من أبرز شعراء الشعر العربي الحديث الذين تجلّى في تجربتهم وعي واضح بأهمية العتبات النصية ودورها في بناء النص الشعري وتوجيه دلالاته. فقد ارتبط شعره ارتباطاً وثيقاً بالقضايا الفكرية والإنسانية والسياسية، وانعكس ذلك ليس فقط في المتن الشعري، بل أيضاً في العتبات المصاحبة له، التي جاءت محملة بإشارات رمزية ودلالية تسهم في الكشف عن أبعاد التجربة الشعرية وتوجيه عملية التلقي. تحتل العتبات العنوانية مكانة مركزية في شعر عبد الوهاب البياتي، إذ لم يكن العنوان عنده مجرد تسمية شكلية، بل شكّل عنصراً دلالياً فاعلاً يتداخل مع المتن الشعري. فقد جاءت عناوين دواوينه وقصائده معبرة عن هواجسه الكبرى، مثل المنفى، والاعتراب، والثورة، والحرية، والموت، والحب. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «العنوان في الشعر الحديث أصبح نصاً موازياً يحمل كثافة دلالية قادرة على توجيه القارئ نحو أفق تأويلي محدد» (حمودة،

٢٠٠٣، ص ١١٥-١١٦). وينطبق هذا التصور على عناوين البياتي التي غالبًا ما تختزل الرؤية الفكرية للنص وتعمل بوصفها مفتاحًا لقراءته. كما شكّلت الإهداءات في شعر البياتي عتبة نصية ذات بعد إنساني وفكري واضح، إذ كثيرًا ما وجّه إهداءاته إلى شخصيات فكرية أو شعرية أو إلى رموز إنسانية وثورية، مما يضيف على النص بعدًا سياقيًا يتجاوز الذات الفردية إلى الهمّ الجمعي. وتكشف هذه الإهداءات عن شبكة من العلاقات الثقافية والفكرية التي ينتمي إليها الشاعر، وتُسهم في توجيه القارئ نحو فهم الخلفيات الفكرية للنص. وقد أشار جبرار جينيت إلى أن «الإهداء ليس عنصرًا بريئًا، بل خطاب موجّه يحمل دلالات رمزية ويكشف عن نوايا المؤلف» (جينيت، ٢٠٠١، ص ١٣٤-١٣٥)، وهو ما يتجلّى بوضوح في تجربة البياتي. أما المقدمات والتصديرات، فقد مثّلت عند البياتي فضاءً للتصريح أو التلميح بمواقفه الفكرية ورؤيته للشعر والحياة. ففي بعض دواوينه، لجأ إلى تضمين نصوص شعرية أو اقتباسات فكرية في صدر العمل، لتكون بمثابة إطار مرجعي يوجّه قراءة النصوص اللاحقة. ويؤكد صلاح فضل أن «التصدير يخلق علاقة حوارية بين النص ونصوص أخرى، ويسهم في توسيع دائرة الدلالة» (فضل، ١٩٩٨، ص ٦١-٦٢)، وهو ما يمنح شعر البياتي بعدًا تناصيًا واضحًا. ولا يمكن إغفال العتبات البصرية، مثل الغلاف واسم الديوان، التي أسهمت في تشكيل الانطباع الأول لدى المتلقي. فقد جاءت أغلفة دواوين البياتي في كثير من الأحيان منسجمة مع مضامين النصوص، سواء من حيث الألوان أو الرموز المستخدمة، مما يعزّز العلاقة بين الشكل والمضمون. ويشير جابر عصفور إلى أن «العتبة البصرية تشكّل خطابًا صامتًا يسبق القراءة ويؤثر في التلقي» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٧٠-٧١)، وهو ما يجعلها جزءًا من التجربة القرآنية الكلية. وتتجلّى أهمية العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي أيضًا من خلال التفاعل بين العنوان والتمن الشعري، حيث لا يقف العنوان عند حدود التسمية، بل يدخل في علاقة جدلية مع النص، فيضيء بعض دلالاته ويكتف معانيه. فكثيرًا ما يأتي العنوان عند البياتي محمّلًا بالرمز أو الإيحاء الأسطوري أو الصوفي، مما يفتح أفقًا تأويليًا واسعًا أمام القارئ. وقد أشار صلاح فضل إلى أن «العنوان في الشعر الحديث يُعدّ بنية دلالية مستقلة نسبيًا، لكنه في الوقت نفسه يتكامل مع المتن ليشكّل وحدة دلالية واحدة» (فضل، ١٩٩٨، ص ٥٤-٥٥)، وهو ما يتجلّى في شعر البياتي الذي تتداخل فيه العتبة العنوانية مع النص تداخلًا عضويًا. كما تبرز العتبات الأسطورية والتناصية بوصفها سمة واضحة في تجربة البياتي، حيث يستدعي في عناوينه أو تصديراته شخصيات أسطورية أو تاريخية أو صوفية، مثل الحلاج أو رموز الثورة والمعاناة الإنسانية. وتعمل هذه الاستدعاءات بوصفها إشارات ثقافية تُهيئ القارئ لقراءة النص ضمن أفق رمزي وفكري محدد. ويرى جابر عصفور أن «التناص في العتبات النصية يضاعف من كثافة الدلالة، لأنه يربط النص بسلسلة من المرجعيات الثقافية والفكرية» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٧٤-٧٥)، وهو ما يمنح شعر البياتي بعدًا إنسانيًا كونيًا يتجاوز حدود التجربة الفردية. وتؤدي الهوامش والتوضيحات، وإن لم تكن حاضرة بكثرة في شعر البياتي، دورًا مكملًا حين تظهر، إذ تعمل على رفع الالتباس أو توضيح المرجعيات التاريخية والأسطورية للنص. ويؤكد جينيت أن «الهامش يمثل خطابًا تابعًا، لكنه يمتلك سلطة تفسيرية قد تؤثر في تلقي النص وتأويله» (جينيت، ٢٠٠١، ص ١٦٢-١٦٣). ويظهر هذا النوع من العتبات وعي الشاعر بالقارئ ورغبته في توسيع دائرة الفهم دون الإخلال بجمالية النص. ومن خلال هذه العتبات المختلفة، يتشكّل في شعر عبد الوهاب البياتي أفق تلقي موجّه، لا يفرض قراءة واحدة مغلقة، لكنه يحدّد مسارات دلالية محتملة. فالعتبات النصية تسهم في خلق توازن بين الإيحاء والتصريح، وبين الغموض والوضوح، وهو ما ينسجم مع طبيعة الشعر الحديث القائم على التعدد والتأويل. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «العتبات النصية تُعدّ من أهم الأدوات التي يستخدمها الشاعر الحديث لتوجيه القارئ دون مصادرة حريته التأويلية» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١١٨-١١٩). وبناءً على ذلك، يمكن القول إن العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي شكّلت جزءًا بنيويًا من تجربته الشعرية، وأسهمت في بناء عالمه الشعري ورؤيته الفكرية. فهي لم تكن مجرد عناصر مرافقة للنص، بل أدّت وظائف دلالية وجمالية عميقة، وعكست وعي الشاعر بأهمية النص الموازي في تعزيز التواصل مع القارئ. ومن هنا، تكتسب دراسة هذه العتبات أهمية خاصة في الكشف عن أبعاد التجربة الشعرية للبياتي، وفهم العلاقة الجدلية بين النص وسياقه الثقافي والإنساني.

الدلالات الجمالية والفكرية للعتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي

تمثّل العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي مجالًا دلاليًا وجماليًا واسعًا، يتجاوز وظيفتها التمهيدية إلى الإسهام الفعلي في إنتاج المعنى وبناء الرؤية الشعرية. فهي ليست عناصر محايدة أو مكتملة، بل تشكّل جزءًا من الاستراتيجية الفنية التي يعتمدها الشاعر للتعبير عن مواقفه الفكرية والإنسانية، ولتوجيه القارئ نحو أفق تأويلي يتناسب مع طبيعة تجربته الشعرية القائمة على الرمزية والتكثيف. وتتجلّى الدلالات الجمالية للعتبات النصية في شعر البياتي من خلال قدرتها على خلق انسجام بين الشكل والمضمون. فالعنوان، بوصفه أبرز هذه العتبات، يأتي غالبًا مشحونًا بالإيحاء والاختزال، ويعمل كنصّ مصغّر يختزن جوهر التجربة الشعرية. وقد أشار صلاح فضل إلى أن «العنوان في الشعر الحديث يُعدّ بنية جمالية قائمة بذاتها، توازي النص في أهميتها وتدخل معه في علاقة تكاملية» (فضل، ١٩٩٨، ص ٥٥-٥٦). ويظهر ذلك في شعر البياتي

حيث يسهم العنوان في تكثيف الصورة الشعرية وإضفاء بعد جمالي إضافي على النص. كما تؤدي الإهداءات والتصديرَات دورًا جماليًا يتمثل في خلق نوع من الحوار بين النص ونصوص أو شخصيات أخرى، مما يضيف على العمل الشعري بعدًا تناصيًا. هذا التناص لا يأتي على حساب جمالية النص، بل يعززها من خلال توسيع شبكة الدلالات وربط التجربة الفردية للشاعر بتجارب إنسانية أوسع. ويؤكد جابر عصفور أن «التناص الجمالي يثري النص ويمنحه طاقة إيحائية مضاعفة» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٧٦-٧٧)، وهو ما يتجلى بوضوح في عتبات البياتي. أما من الناحية الفكرية، فإن العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي تعبر عن رؤيته للإنسان والعالم، وتعكس انشغالاته بالقضايا الوجودية والسياسية. فقد جاءت كثير من عناوينه وإهداءاته مرتبطة بثيمات المنفى، والاعتراب، والثورة، والحرية، وهي ثيمات شكّلت جوهر تجربته الشعرية. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «العتبات النصية تُعدّ فضاءً مناسبًا للتعبير عن المواقف الفكرية دون الوقوع في المباشرة» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١٢٠-١٢١)، وهو ما يفسّر لجوء البياتي إلى تحميل هذه العتبات أبعادًا فكرية عميقة. وتبرز دلالة المنفى والاعتراب في عتبات البياتي بوصفها انعكاسًا لتجربته الحياتية القاسية، حيث عاش متقلّبًا بين المنافي. وقد تحوّلت هذه التجربة إلى عنصر بنيوي في شعره، تجلّى في العناوين والإهداءات التي تُهيئ القارئ لقراءة النص ضمن أفق من الألم والبحث عن الوطن والهوية. ويرى جينيت أن «العتبة النصية قادرة على توجيه القراءة نحو بعد نفسي أو وجودي محدد» (جينيت، ٢٠٠١، ص ٢٢-٢٣)، وهو ما ينطبق على تجربة البياتي بوضوح. كما تعكس العتبات النصية في شعره البعد الثوري والسياسي، إذ كثيرًا ما استُخدمت للإشارة إلى مواقف احتجاجية ضد القمع والاستبداد. وتؤدي هذه العتبات وظيفة فكرية تتمثل في ربط النص الشعري بالواقع الاجتماعي والسياسي، دون أن يتحول الشعر إلى خطاب مباشر أو شعاراتي. ويؤكد صلاح فضل أن «الوظيفة الفكرية للعتبات تكمن في قدرتها على الإيحاء لا التصريح» (فضل، ١٩٩٨، ص ٦٠-٦١)، وهو ما حافظ عليه البياتي في تجربته الشعرية. ومن الدلالات الفكرية المهمة أيضًا البعد الصوفي والرمزي الذي يتجلى في عتبات البياتي، حيث يستدعي شخصيات صوفية وتاريخية بوصفها رموزًا للمعاناة والبحث عن الحقيقة. وتعمل هذه الاستدعاءات على تعميق البعد الفلسفي للنص، وتمنحه طابعًا إنسانيًا شاملاً. ويرى جابر عصفور أن «الرمز في العتبات النصية يمثل مفتاحًا لفهم البنية الفكرية للنص» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٧٩-٨٠)، وهو ما يجعل هذه العتبات ضرورية لفهم شعر البياتي. وتسهم العتبات النصية كذلك في بناء أفق التلقي، إذ تعمل على توجيه القارئ نحو مسارات دلالية محددة، دون أن تقيد حريته التأويلية. فهي تخلق نوعًا من التوازن بين الغموض والوضوح، وتُعدّ أداة تواصل بين الشاعر والمتلقي. ويشير جينيت إلى أن «العتبات لا تفرض قراءة واحدة، لكنها تقترح قراءات محتملة» (جينيت، ٢٠٠١، ص ٢٧-٢٨)، وهو ما ينسجم مع طبيعة الشعر الحديث. ومن خلال هذا التفاعل بين الجمالي والفكري، يتضح أن العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي تشكّل عنصرًا محوريًا في بناء تجربته الشعرية. فهي تُسهم في تعميق المعنى، وتكثيف الدلالة، وربط النص بسياقه الثقافي والإنساني، مما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من البنية الكلية للعمل الشعري. وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول إن دراسة الدلالات الجمالية والفكرية للعتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي تكشف عن وعيه العميق بأهمية النص الموازي، وعن قدرته على توظيف هذه العتبات بوصفها أدوات فنية وفكرية فاعلة. كما تبرز هذه الدراسة الدور الحيوي الذي تؤديه العتبات في إثراء التجربة الشعرية، وفي تعزيز التواصل بين النص والقارئ، بما يسهم في تقديم قراءة أكثر شمولًا وعمقًا لشعر عبد الوهاب البياتي.

وظائف العتبات النصية وأثرها في توجيه التلقي في شعر عبد الوهاب البياتي

تؤدي العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي وظائف متعددة تتجاوز حدود التمهيد الشكلي إلى الإسهام الفعلي في بناء المعنى وتوجيه عملية التلقي. فهذه العتبات تشكّل وسيطًا تواصليًا بين الشاعر والقارئ، وتعمل على ضبط العلاقة بين النص وسياقه، وبين الدلالة المقترحة وأفق انتظار المتلقي. ومن ثمّ، فإن دراسة وظائف العتبات النصية تتيح الكشف عن آليات اشتغال النص الشعري، وتوضح الكيفية التي يُنتج بها المعنى في إطار التجربة الشعرية للبياتي. من أبرز وظائف العتبات النصية الوظيفة التوجيهية، إذ تسهم في رسم مسار القراءة منذ اللحظة الأولى لمواجهة القارئ مع النص. فالعنوان، على سبيل المثال، يضع القارئ أمام أفق دلالي أولي يحدّد طبيعة النص واتجاهه العام. ويشير صلاح فضل إلى أن «العتبات النصية تؤدي دورًا إرشاديًا، إذ تمنح القارئ مفاتيح أولية تساعد على الدخول إلى عالم النص وفهم بنيته الدلالية» (فضل، ١٩٩٨، ص ٤٩-٥٠). ويتجلى هذا الدور في شعر البياتي، حيث تأتي العناوين والإهداءات مشحونة بإشارات فكرية وإنسانية تمهّد لتلقي النص ضمن إطار معين. وتتمثل وظيفة أخرى للعتبات النصية في بناء أفق التلقي، إذ تعمل على تشكيل توقعات القارئ قبل الشروع في قراءة المتن الشعري. فالعتبات لا تفرض معنى جاهزًا، لكنها تضع القارئ في حالة استعداد ذهني ونفسي لتلقي النص. ويؤكد جابر عصفور أن «العتبات النصية تسهم في تحديد أفق الانتظار، وتعمل على توجيه القراءة دون مصادرة حرية التأويل» (عصفور، ٢٠٠١، ص ٢٦-٢٧). ويظهر ذلك في شعر البياتي من خلال عتبات تلمح إلى موضوعات المنفى أو الثورة أو المعاناة الإنسانية، فتجعل القارئ مهيبًا لقراءة النص ضمن هذه الدوائر الدلالية. كما تؤدي العتبات

النصيّة وظيفية تواصلية، إذ تمثل خطابًا موجّهًا من الشاعر إلى القارئ، يكشف من خلاله عن بعض مواقفه أو رؤاه الفكرية. فالإهداءات، على وجه الخصوص، تُعدّ وسيلة لإقامة علاقة حوارية بين الشاعر والمتلقي، كما تعكس شبكة العلاقات الثقافية والفكرية التي ينتمي إليها الشاعر. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «الإهداء يُعدّ خطابًا ثقافيًا مختصرًا، يكشف عن انتماءات النص ومرجعياته الفكرية» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١٢٢-١٢٣)، وهو ما يتجلّى في إهداءات البياتي التي غالبًا ما ترتبط بشخصيات أو قضايا ذات بعد إنساني أو ثوري. ومن الوظائف المهمة كذلك الوظيفة التأويلية، حيث تسهم العتبات النصيّة في فتح آفاق متعددة لفهم النص وتأويله. فالاقتباسات والتصديرات التي يضعها الشاعر في صدر دواوينه أو قصائده تعمل بوصفها مفاتيح تفسيرية، تربط النص بسياقات فكرية أو فلسفية أو صوفية. ويؤكد جابر عصفور أن «العتبات النصيّة تتيح للقارئ الدخول إلى النص من زوايا متعددة، وتمنحه أدوات تساعد على تأويله دون الوقوع في القراءة الاختزالية» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٨١-٨٢). ويُظهر شعر البياتي وعيًا واضحًا بهذه الوظيفة، من خلال استدعاء رموز وأساطير وشخصيات تاريخية في عتباته. وتؤدي العتبات النصيّة أيضًا وظيفة جمالية تتجلى في تحقيق الانسجام بين الشكل والمضمون. فالغلاف، والعنوان، وتنسيق النص، كلها عناصر تسهم في تكوين صورة جمالية متكاملة للعمل الشعري. وقد أشار جينيت إلى أن «العتبة البصرية جزء من التجربة الجمالية للنص، ولا يمكن فصلها عن عملية التلقي» (جينيت، ٢٠٠١، ص ٣٤-٣٥). وفي دواوين البياتي، غالبًا ما تتسجم العتبات البصرية مع مضامين النصوص، مما يعزّز التأثير الجمالي للنص في وعي القارئ. ولا تقل أهمية الوظيفة الإيديولوجية للعتبات النصيّة في شعر البياتي، إذ تعكس هذه العتبات مواقفه السياسية والفكرية، وتُسهم في ربط النص بالواقع الاجتماعي والتاريخي. فالعناوين والإهداءات التي تحيل إلى الثورة أو القمع أو الحرية تُعدّ إشارات إيديولوجية توجّه القراءة نحو فهم النص بوصفه موقفًا فكريًا قبل أن يكون تعبيرًا جماليًا. ويرى صلاح فضل أن «العتبات النصيّة تمثل مجالًا آمنًا لتضمين الموقف الإيديولوجي دون الوقوع في المباشرة الخطابية» (فضل، ١٩٩٨، ص ٦٣-٦٤). ومن خلال هذه الوظائف المتعددة، يتضح أن العتبات النصيّة في شعر عبد الوهاب البياتي تؤدي دورًا مركزيًا في توجيه التلقي وبناء العلاقة بين النص والقارئ. فهي لا تعمل بمعزل عن المتن الشعري، بل تتكامل معه لتشكل خطابًا أدبيًا متماسكًا يجمع بين الجمالي والفكري. كما تسهم في توسيع دائرة التأويل، وتعميق فهم التجربة الشعرية، وربطها بسياقها الثقافي والإنساني. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن العتبات النصيّة تمثل عنصرًا فاعلًا في تشكيل تجربة التلقي عند القارئ، وإن دراستها في شعر عبد الوهاب البياتي تكشف عن وعي الشاعر بأهمية هذه العناصر في بناء النص وتوجيه دلالاته. ومن ثمّ، فإن الاهتمام بوظائف العتبات النصيّة يُعدّ مدخلًا أساسيًا لفهم آليات اشتغال الشعر الحديث، والكشف عن العلاقة الجدلية بين النص وسياقه، وبين الشاعر والمتلقي.

أثر العتبات النصيّة في بناء الرؤية الشعرية لعبد الوهاب البياتي

تُسهم العتبات النصيّة في شعر عبد الوهاب البياتي إسهامًا واضحًا في بناء رؤيته الشعرية وتشكيل عالمه الإبداعي، إذ تمثل هذه العتبات فضاءً تمهيدياً تتقاطع فيه الأبعاد الجمالية والفكرية والإنسانية، وتنعكس من خلالها ملامح المشروع الشعري الذي تبناه الشاعر عبر مسيرته الإبداعية. ولا يمكن فهم هذه الرؤية فهماً عميقاً دون الوقوف عند العتبات النصيّة بوصفها عناصر كاشفة عن وعي الشاعر بذاته وبالعالم من حوله. تتجلّى الرؤية الشعرية لعبد الوهاب البياتي في ارتباطها الوثيق بقضايا الإنسان الكبرى، مثل الحرية، والعدالة، والمنفى، والاعتراب، والموت، والبحث عن الخلاص. وقد أسهمت العتبات النصيّة في ترسيخ هذه القضايا داخل النص الشعري، من خلال ما تحمله من إشارات رمزية ودلالية تمهّد لقراءتها ضمن أفق إنساني شامل. ويشير عبد الوهاب البياتي نفسه إلى أن «الشعر ليس تعبيرًا عن لحظة عابرة، بل هو موقف ورؤية للعالم» (البياتي، ١٩٩٥، ص ١٣-١٤)، وهو ما ينعكس بوضوح في عتبات نصوصه التي غالبًا ما تُعلن عن هذه الرؤية قبل الدخول في المتن. وتؤدي العناوين بوصفها أبرز العتبات النصيّة، دورًا محوريًا في تكثيف الرؤية الشعرية للبياتي، إذ تختزل في كثير من الأحيان جوهر التجربة الشعورية والفكرية للنص. فالعنوان لا يقدّم مضمون القصيدة فحسب، بل يكشف عن زاوية النظر التي يتبناها الشاعر تجاه العالم. ويرى صلاح فضل أن «العنوان في الشعر الحديث يمثل نقطة التقاء بين الرؤية الفكرية والبناء الجمالي للنص» (فضل، ١٩٩٨، ص ٥٧-٥٨)، وهو ما يتجلّى في شعر البياتي الذي جاءت عناوينه متسقة مع رؤيته الوجودية والإنسانية. كما تسهم الإهداءات والتصديرات في الكشف عن البعد الإنساني الجماعي في رؤية البياتي، إذ غالبًا ما تتوجّه إلى شخصيات أو رموز تعبّر عن المعاناة أو المقاومة أو القيم الإنسانية العليا. ومن خلال هذه العتبات، يخرج الشاعر من إطار الذات الفردية إلى فضاء إنساني أوسع، يجعل من الشعر فعل مشاركة وجدانية وفكرية. ويؤكد جابر عصفور أن «العتبات النصيّة قادرة على نقل التجربة الشعرية من الخاص إلى العام، ومن الذاتي إلى الإنساني» (عصفور، ٢٠٠٤، ص ٨٥-٨٦). وتنعكس الرؤية الصوفية والرمزية في شعر البياتي كذلك من خلال العتبات النصيّة، حيث يستدعي الشاعر رموزًا تاريخية وصوفية بوصفها نماذج للمعاناة والبحث عن الحقيقة. وتُسهم هذه العتبات في توجيه قراءة النص ضمن أفق فلسفي وروحي، يتجاوز الواقع المباشر إلى التأمل في المصير الإنساني. ويشير جينيت إلى

أن «العتبات النصية تمهد لتلقي النص ضمن سياق رمزي أو فلسفي محدد» (جينيت، ٢٠٠١، ص ٢٩-٣٠)، وهو ما ينسجم مع طبيعة الرؤية الشعرية للبياتي. كما تؤدي العتبات النصية دوراً مهماً في بلورة الرؤية الثورية لدى البياتي، إذ تعكس موقفه الراض للظلم والاستبداد، وسعيه الدائم إلى التغيير. فالعناوين والإهداءات ذات الطابع السياسي لا تأتي بوصفها شعارات مباشرة، بل كإشارات رمزية تمهد لقراءة النص بوصفه موقفاً فكرياً وجمالياً في آن واحد. ويشير عبد العزيز حمودة إلى أن «الرؤية الشعرية الحديثة تتجلى غالباً في العتبات النصية قبل أن تتضح في المتن» (حمودة، ٢٠٠٣، ص ١٢٤-١٢٥). ومن خلال هذا التفاعل بين العتبات النصية والرؤية الشعرية، يتضح أن البياتي كان واعياً بدور النص الموازي في بناء مشروع الشعري. فقد استخدم هذه العتبات بوصفها أدوات فنية وفكرية تسهم في توحيد تجربته الشعرية، وربط نصوصه المتعددة برؤية واحدة متماسكة. كما أسهمت في خلق حوار مستمر بين النص والقارئ، يقوم على المشاركة في الهمّ الإنساني والتفاعل مع القضايا الكبرى. وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول إن العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي أدت دوراً أساسياً في بناء رؤيته الشعرية، وأسهمت في تكثيف دلالاتها الفكرية والجمالية. فهي لم تكن عناصر مرافقة للنص فحسب، بل شكّلت جزءاً من بنيته العميقة، وكشفت عن وعي الشاعر بذاته وبقيضاياه وبالعلم، مما يجعل دراستها ضرورة لفهم مشروع الشعري فهماً شاملاً.

الذاتة

تُظهر نتائج هذا البحث أن العتبات النصية تمثّل عنصراً بنوياً فاعلاً في النص الشعري، ولا يمكن النظر إليها بوصفها عناصر هامشية أو مكملّة للمتن، بل هي مكوّن أساسي يسهم في بناء الدلالة وتوجيه عملية التلقي. وقد أسهمت الدراسة في تأكيد أن النص الشعري لا يُقرأ بمعزل عن محيطه، بل ضمن شبكة من العلامات اللغوية والبصرية والفكرية التي تمهد للدخول إليه وتفتح أمام القارئ آفاقاً متعددة للتأويل. وقد بيّن البحث، من خلال الإطار النظري، أن مفهوم العتبات النصية ارتبط بتطور النقد الأدبي الحديث، خاصة مع تنظيرات النص الموازي، التي أعادت النظر في العلاقة بين النص والقارئ. كما أوضحت الدراسة أن النقد العربي المعاصر استطاع استيعاب هذا المفهوم وتوظيفه في تحليل النصوص الأدبية، مما أسهم في تعميق القراءة النقدية وتجاوز التفسير السطحي للنصوص الشعرية، ولا سيما في الشعر العربي الحديث. وعلى مستوى التطبيق، كشفت الدراسة أن عبد الوهاب البياتي كان شاعراً واعياً بأهمية العتبات النصية ودورها في بناء تجربته الشعرية، إذ جاءت عناوينه، وإهداءاته، وتصديراته، وعتباته البصرية محمّلة بدلالات جمالية وفكرية تعبّر عن رؤيته الإنسانية والوجودية. كما أسهمت هذه العتبات في توجيه القارئ نحو قراءة النص ضمن أفق من القضايا الكبرى، مثل المنفى، والاعتراب، والحرية، والمعاناة الإنسانية، دون الوقوع في المباشرة أو الخطابية. كما أظهرت الدراسة أن العتبات النصية في شعر البياتي أدت وظائف متعددة، من بينها الوظيفة التوجيهية والتأويلية والجمالية والإيديولوجية، وأسهمت في بناء أفق التلقي وتعزيز التواصل بين النص والقارئ. وقد ساعد هذا التفاعل بين العتبات والمتن على خلق نص شعري مفتوح على تعدد القراءات، وقادر على استيعاب التحولات الفكرية والثقافية التي عايشها الشاعر. وفي ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن دراسة العتبات النصية في شعر عبد الوهاب البياتي تفتح مجالاً رحباً لفهم تجربته الشعرية فهماً أعمق وأكثر شمولاً، كما تؤكد أهمية النص الموازي في تحليل الشعر العربي الحديث، وتدعو إلى مزيد من الدراسات التي تتناول العتبات النصية في تجارب شعرية أخرى، بوصفها مدخلاً نقدياً فاعلاً للكشف عن أبعاد النص الأدبي ودلالاته المتعددة.

المصادر

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧.
٢. البياتي، عبد الوهاب، تجرّبي الشعرية، دار العودة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.
٣. جينيت، جيرار، عتبات: النص الموازي، ترجمة عبد الرحمن بنحادة، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.
٤. حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.
٥. عصفور، جابر، زمن الرواية، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
٦. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
٧. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
٨. يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
٩. أبو ديب، كمال، جدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١.